

مقدمة

في اصول التفسير

من كلام شيخ الاسلام تقي الدين ابي العباس
احمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية
الحراني نعمده الله برحمته ، واسكنه
فسيح جناته ، آمين

عني بتحقيقها ووضع مقدمتها
فضيلة الاستاذ الشيخ جميل افندي الشطي مفتي الحنابلة بدمشق
وحقوق الطبع محفوظة له

الطبعة الاولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ،
أما بعد فقد عثرنا في مجموع عندنا مخطوط سنة ٧١٢ هـ على هذه الرسالة
الغريبة في بابها ، من كلام شيخ الاسلام بحر العلوم ناصر السنة نقي الدين
أحمد بن تيمية الختلي الحراني ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨ ، الذي سارت مؤلفاته
في الآفاق وانتفع بعلمه أخص والعلم ، تتعلق بأصول تفسير القرآن العظيم
ويبان طرق المفسرين الى عهد المؤلف المنوه به ، مع التنبيه على ما يوافق
نهج السلف وتقريره ، والاشارة الى ما يخالف ذلك والتحذير منه ، وهي رسالة
تدل على تبحره قدس الله روحه في هذا العلم كغيره ، ولم يعلم حتى الآن
انه ألف مثلها في موضوعها ، ولا انها وجدت عند احد مخطوطة او مطبوعة ،
ولكنها وبنا للأسف مشحونة بتحريرات النسخ وتصحيفاته ، ولذلك بذلنا
الجدد في تصحيحها ، على ما يقتضيه سياقها وبلتئم مع روحها ، وسنجد ما نلحقه
من كلمات لا بد منها بين قوسين ، ونشير الى حالة الاصل في ذيل الصحيفة حسب
العادة ، ولقد كانت هذه الرسالة ناقصة من موضعين فاطلع عليها الأستاذ العلامة
الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ، وأشار علينا باكملها من نسخة جاءنا بها وقتئذ
معرفة أيضاً ، فأكملناها والله الحمد وذلك سنة ١٣١٨ ، وهما نحن الآن نخرجها الى
عالم الطبع والنشر ، ليستفيد منها حضرات القراء معرفة ما يجب اعتباره ومالا
ينبغي الاخذ به من تفسير كلام الله العزيز ، حيث كثرت كتب التفسير واختلفت
مشارب المفسرين اختلافاً كثيراً من قبل المؤلف ومن بعده ، فهذه رسالة تبين
الفث من السمين والخطأ من الصواب في هذا الباب ان شاء الله .

هذا ولا ينكر في هذه المناسبة فضل من نشطونا لنشر تلك الرسالة البديعة
ولاسيا حضرة الاديب النبيل الامير جعفر الجزائري مدير دار الآثار بدمشق ،
الذي اتدب فقام بطبعها وتعميم نفعها على تفقة دار الآثار ، والله المسؤول ان
يشيننا جميعاً وبوفقنا لما يحب ويرضى آمين

مفتي الحسابلة بدمشق

محمد جميل الشطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِشْرٍ وَأَعْنِ بِرَحْمَتِكَ
 لِمُدَّ اللَّهُ فَتَعِينَهُ وَتَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ الْإِنْسَانِ وَمِنْ نِيَّاتِ الْعَالَمَانِ
 مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ وَاشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
 قَدْ تَأْتَى بَعْضُ الْأَخْوَانِ أَنْ كَتَبَ لَهُ مُقَدِّمَةٌ فِيهَا تَضَمَّنَ قَوْلًا عَدْلِيًّا تَعَيَّنَ عَلَيْهِ فِي فِهْمِ
 الْقُرْآنِ وَمَعْرِفَةِ تَفْسِيرِهِ وَمَعَايِينِهِ وَالتَّمْيِيزِ فِي مَقُولٍ ذَلِكَ وَمَقُولِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
 الْأَبَاطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ عَلَى الدَّلِيلِ الْفَاعِلِ بَيْنَ الْأَقْوَابِلِ فَإِنَّ الْكُتُبَ الْمُصَنَّفَةَ فِي التَّفْسِيرِ
 مَشْهُونَةٌ بِاللُّغَةِ وَالتَّحْمِينِ وَالتَّوَالِيهِ الْوَاضِحِ وَالْحَقِّ الْبَيِّنِ وَالْعِلْمِ أَمَا نَقُلُ مُضَدَّ
 عَنْ مَعْصُومٍ وَأَمَا قَوْلُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ زَمَا يَتْرُكِي هَذَا فَإِنَّمَا مُزَيَّفٌ مُرَدُّودٌ
 وَأَمَا مَوْقُوفٌ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَهْرَجُ وَلَا مَنْقُودٌ وَجَاهِدِ الْأَمَّةَ مَا شَاءَ إِلَى فِهْمِ الْقُرْآنِ
 الَّذِي هُوَ جَبَلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا يَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ
 وَلَا تَلْبَسُ بِهِ الْأَلْسُنُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَوْنِهِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبِهِ وَلَا يَشْعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ
 مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرٌ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ جِبَارِ قِصَّةِ اللَّهِ وَمَنْ ابْتَغَى الْهَدْيَ فِي غَيْرِهِ اضْطَرَّ اللَّهُ
 قَالَ تَعَالَى فَا مَا يَأْتِيكُمْ مِنْ هَدْيٍ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَبِي وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
 ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَجْشُرُهُ يَوْمَ الْبَيْتِهِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
 كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ نَسَّيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْفَى وَقَالَ تَعَالَى
 فَدَجَانُكُمْ مِنَ اللَّهِ نُوْرُوكَابٍ مَبِينٍ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ لِسَبَلِ السَّلَامِ
 وَخَرَجْتُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَقَالَ تَعَالَى

صورة الصفحة الاولى من أصل الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن برحمتك

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً . أما بعد فقد سألتني بعض الإخوان ، أن أكتب له مقدمة تتضمن (١) فواعد كلية ، تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه ، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله (٢) بين الحق وأنواع الأباطيل ، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقلوب ، فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين ، والباطل الواضح والحق المبين ، والعلم أما نقل مصدق عن معصوم ، وأما قول عليه دليل معلوم ، وما سوى هذا فإما مزيف مردود ، وأما موقوف لا يعلم أنه يهرج ولا منقود ، وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، الذي لا تزبغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة التردد (٣) ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، ومن تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، قال تعالى ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ وقال تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور

(١) الاصل: فيها تتضمن ولعل احدهما زائدة (٢) الاصل: ومقوله (٣) الاصل: الرد

وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم * وقال تعالى * الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض * وقال تعالى * وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جئناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض الا الى الله تصير الأمور * وقد كتبت هذه المقدمة مختصرة بحسب تيسير الله تعالى من لملأ القواد ، والله الهادي الى سبيل الرشاد .

- فصل -

يجب أن يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه معاني القرآن كما بين لهم الفاظه ، فقوله تعالى * لتبين للناس ما نزل اليهم * يتناول هذا وهذا ، وقد قال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة ، وقال انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين قبل ثمان سنين ذكره مالك . وذلك ان الله تعالى قال * كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته * وقال * افلا يدبرون القرآن * وقال * أفلم يدبروا القول * وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وكذلك قال تعالى * انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * وعقل الكلام متضمن لفهمه ، ومن المعلوم ان كل كلام فالقصد منه فهم معانيه دون مجرد الفاظه ، فالقرآن اولى بذلك ، وأيضاً

فالعادة تمنع ان يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالتب والحساب ولا يستشرحوه ، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودينهم ، ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً ، وهو وان كان في التابعين اكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة الى ما بعدهم ، وكما كان العصر اشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه اكثر ، ومن التابعين من تامل جميع التفسير عن الصحابة ، كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس اوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها ، ولهذا قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فيسبك به ، ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم ، وكذلك الامام احمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد اكثر من غيره ، والمقصود ان التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة كما تلقوا عنهم علم السنة ، وان كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال .

— فصل —

الخلاف بين السلف في التفسير قليل وخلافهم في الأحكام اكثر من خلافهم في التفسير ، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وذلك صنفان احدهما ان يميز كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى بمنزلة الاسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة ، كما قيل في اسم السيف والصارم والمهند وذلك مثل اسماء الله الحسنى واسماء رسوله صلى الله عليه وسلم واسماء القرآن ، فان اسماء الله كلها على مسمى واحد فليس دعاؤه باسم من اسمائه الحسنى مضادا لدعائه باسم آخر بل الامر كما قال تعالى ﴿ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾ وكل اسم من اسمائه يدل على الذات المسماة وعلى الصفة التي تضمنها الاسم كالعلم يدل على الذات والعلم ، والقدير

بدل على الذات والقدرة ، والرحيم بدل على الذات والرحمة ، ومن انكر دلالة اسمائه على صفاته ممن بدعي الظاهر فقوله من جنس قول غلاة الباطنية القرامطة الذين يقولون لا يقال هو حي ولا ليس بحي بل ينفون عنه التقيضين فان اولئك القرامطة الباطنية لا ينكرون اسماً هو علم محض كالمضمرات وانما ينكرون ما في اسمائه الحسنى من صفات الاثبات فمن وافقهم على مقصودهم كان مع دعواه الغلو في الظاهر موافقاً لغلاة الباطنية في ذلك وليس هذا موضع بسط ذلك وانما المقصود ان كل اسم من اسمائه بدل على ذاته وعلى ما في الاسم من صفاته وبدل أيضاً على الصفة التي في الاسم^(١) الآخر بطريق اللزوم ، وكذلك اسماء النبي صلى الله عليه وسلم مثل محمد واحمد والمحي والحاشر والعاقب ، وكذلك اسماء القرآن مثل القرآن والفرقان والهدى والشفاء والبيان والكتاب وأمثال ذلك فان كان مقصود السائل تعيين المسمى عبرنا عنه بأي اسم كان اذا عرف مسمى هذا الاسم وقد يكون الاسم علماً وقد يكون صفة كمن يسأل عن قوله ﴿ومن اعرض عن ذكري﴾ ما ذكره فيقال له هو القرآن مثلاً او ما انزله من الكتب فان الذكر مصدر والمصدر تارة يضاف الى الفاعل وتارة الى المفعول فاذا قيل ذكر الله بالمعنى الثاني كان ما يذكر به مثل قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، واذا قيل بالمعنى الاول كان ما يذكره هو وهو كلامه وهذا هو المراد في قوله ﴿ومن اعرض عن ذكري﴾ لانه قال قبل ذلك ﴿فاما يا تينك متي هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ وهداه هو ما انزله من الذكر وقال بعد ذلك ﴿قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً﴾ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ﴿والمقصود ان يعرف ان الذكر هو كلامه المنزل او هو ذكر العبد له فسواء قيل ذكري كتابي او كلامي او هداي او نحو ذلك فان المسمى واحد وان كان مقصود السائل معرفة ما في الاسم من الصفة المختصة به فلا بد من قدر زائد على تعيين المسمى

(١) الاصل : الاسم من صفاته وبدل الآخر . ولعل الزيادة مكررة

مثل أن يسأل عن القدوس للسلام المؤمن وقد علم انه الله لكن مراده ما معنى كونه قدوساً سلاماً مؤمناً ونحو ذلك . اذا عرف هذا فالسلف كثيراً ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه وان كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر كمن يقول احمد هو الحاشر والمحي والعاقب ، والقدوس هو الغفور (و) الرحيم اي ان المسمى واحد لا ان هذه الصفة هي هذه ، ومعلوم ان هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس ، مثال ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم فقال بعضهم هو القرآن اي اتباعه لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث علي الذي رواه الترمذي ورواه ابو نعيم من طرق متعددة هو جبل الله المتين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، وقال بعضهم هو الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث النواس بن سيمان الذي رواه الترمذي وغيره ضرب الله امثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبي الصراط سوران وفي السورين ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وداع يدعو من فوق الصراط وداع يدعو على رأس الصراط ، قال فالصراط المستقيم هو الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله والداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن ، فهذان القولان متفقان لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر ، كما أن لفظ صراط يشعر بوصف ثالث ، وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك ، فهو لاء كلهم اشاروا الى ذاته واحده لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها .

الصنف الثاني ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض انواعه على سبيل التمثيل وتنبية المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه مثل سائل اعجمي سأل عن مسمى لفظ الخبز فأرى رغبياً وقيل له هذا فالاشارة الى نوع هذا لا الى هذا الرغيف وحده ، مثال ذلك

ما نقل في قوله ﴿ ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتك للمحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فنقرب بالحسنات مع الواجبات فالقصدون هم أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون ، ثم ان كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذي يصلي في أول الوقت والمقتصد الذي يصلي في اثنا عشر والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر الى الاضفرار ، او يقول السابق والمقتصد والظالم قد ذكروهم في آخر سورة البقرة فإنه ذكر المحسن بالصدقة والظالم بأكل الربا والعاقل بالبيع ، والناس في الأموال اما محسن واما عدل واما ظالم فانسابق المحسن باداء المستحبات مع الواجبات والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا وأمثال هذه الأقاويل ، فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية (وانما) ذكر تعريف المستمع بتناول الآية له وتفييه به على نظيره فان التعريف بالمثل قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطابق والعقل السليم يتفطن للنوع كما يتفطن اذا أشير له الى رغي فقل له هذا هو الخبز ، وقد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم هذه الآية نزلت في كذا لاسيما إن كان المذكور شخصاً كاسباب النزول المذكورة في التفسير كقولهم ان آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس بن شماس وان آية اللعان نزلت في عويمر العجلاني او هلال بن أمية وأن آية الكلاله نزلت في جابر بن عبد الله وأن قوله ﴿ وان احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ نزلت في بني قريظة والنضير وأن قوله ﴿ ومن هولم يومئذ دبره ﴾ نزلت في بدر وان قوله ﴿ وشهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت ﴾ نزلت في قضية تميم الداري وعدي بن زيد^(١) وقول ابي اهبوب أن قوله ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾ نزلت

فينا معشر الأنصار الحديث ، ونظائر هذا كثير مما يذكرون انه نزل في قوم
 من المشركين بمكة او في قوم من أهل الكتاب اليهود والنصارى او في
 قوم من المؤمنين فالذين قالوا (ذلك) لم يقصدوا ان حكم الآية مختص بأولئك
 الأعيان دون غيرهم فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق ، والناس
 وان تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه (أم لا) فلم يقل
 أحد من علماء المسلمين ان عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين وإنما
 غابة ما يقال انها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه (و) لا يكون الصوم فيها
 بحسب اللفظ ، والآية التي لها سبب معين ان كانت أمراً ونهياً فهي متناولة للفظ
 الشخص ولغيره ممن كان بمنزله ، وان كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك
 الشخص ولمن كان بمنزله (أيضاً) ومعرفة سبب النزول بعين على فهم الآية فان العلم
 بالسبب يورث العلم بالسبب ولهذا كان اصح قولى الفقهاء لانه اذا لم يعرف ما نواه
 الخائف رجع الى سبب بينه وما هيجهما وأثلهما ، وقولم نزلت هذه الآية في
 كذا يراد به تارة أنه " سبب النزول ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية وان لم
 يكن السبب كما نقول عنى بهذه الآية كذا ، وقد تنازع العلماء في قول صاحب
 نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند كما يذكر السبب الذي انزلت
 لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند ، فالبخاري يدخله في المسند
 وغيره لا يدخله في المسند ، وأكثر المساند على هذا الاصطلاح كسند احمد
 وغيره ، بخلاف ما اذا ذكر سبباً نزلت عقبه فانهم كلهم يدخلون مثل هذا في
 المسند ، واذا عرف هذا فقول أحدهم نزلت في كذا لا ينافي قول الآخر
 نزلت في كذا اذا كان اللفظ يتناولها كما ذكرناه في التفسير بالمثال واذا ذكر
 أحدهم لها سبباً نزلت لأجله وذكر الآخر سبباً فقد يمكن صدقها بان تكون
 نزلت عقب تلك الأسباب او تكون نزلت مرتين مرة فهذا السبب ومرة
 لهذا السبب .

وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير تارةً لتنوع الاسماء والصفات وتارةً لذكر بعض أنواع المسمى وأقسامه كالتشبهات هي ^(١) الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف * ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين ، أما الكونه مشتركاً في اللغة كلفظ فسورة الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد ولفظ عمس الذي يراد به اقبال الليل وأدباره ، وأما لكونه متواطئاً في الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين ^(٢) كالضائر في قوله ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ ولفظ ﴿ النضر والشفع والوتر وليال عشر ﴾ وما أشبه ذلك ، فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك فالأول ، أما الكون الآبه تزلت مرتين فأربد بها هذا تارةً وهذا تارةً ، وأما الكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معناه إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء المالكية والشافعية والحنبلية وكثير من أهل الكلام ، وأما الكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً إذا لم يكن لتخصيصه موجب فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني .

ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة فإن الترادف في اللغة قليل وأما في الفاظ القرآن فلما نادر وأما معدوم وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد هو مدي جميع معناه بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب اعجاز القرآن ، فإذا قال القائل ﴿ يوم تقوم السماء موراً ﴾ أن المور هو الحركة كان تقريباً إذا المور حركة خفيفة سريعة ، وكذلك إذا قال الوحي الإعلام أو قيل أوحينا اليك أنزلنا اليك أو قيل ﴿ وقضينا إلى بني اسرائيل ﴾ أي علمنا ^(٣) وأمثال ذلك فهذا كله تقريب لا تحقيق فإن الوحي هو إعلام سريع خفي والقضاء اليهم إحصاء من الأعلام فإن فيه أنزالاً اليهم وإيحاء اليهم والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ، ومن دنا غلط من جعل بعض

(١) لعله : هما . خبر هذان (٢) في نسخة الاستاذ الجزائري : الشبهتين .

(٣) في الأصل : كله (٤) في الأصل : علمنا

الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾^(١) و ﴿ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أي مع الله ونحو ذلك ، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمن فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه ، وكذلك قوله ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ضمن معنى يزبغونك ويصدونك وكذلك قوله ﴿ وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ﴾ ضمن معنى نجيناه وخاصناه وكذلك قوله ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ ﴾ ضمن يروى بها ونظايره كثيرة ، ومن قال لا ريب لا شك فهذا تقرب والافالريب فيه اضطراب وحركة كما قال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وفي الحديث أنه مر^(٢) بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد فكما أن اليقين^(٣) ضمن السكون والطمأنينة فالريب ضده (ضمن الاضطراب والحركة)^(٤) ولفظ الشك وإن قيل أنه يستلزم هذا المعنى لكن لفظه لا يدل عليه وكذلك إذا قيل ذلك الكتاب هذا القرآن فهذا تقرب لأن المشار إليه وإن كان واحداً فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد والغيبة ، ولفظ الكتاب يتضمن من كونه مكتوباً مضموماً (١٠) لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقرواً مظهراً بادياً فهذه الفروق موجودة في القرآن ، فإذا قال أحدهم إن تبسل أي تبس وقال الآخر ترتمن ونحو ذلك لم يكن من اختلاف التضاد وإن كان المحبوس قد يكون مرتمناً وقد لا يكون إذ هذا تقرب للمعنى كما تقدم ، وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جداً لأن^(٥) مجموع عباراتهم يدل على المقصود من عبارة أو عبارتين ومع هذا فلا بد من اختلاف مخفف بينهم كما يوجد مثل ذلك في الأحكام ، ونحن نعلم أن عامة ما يضطر إليه عموم الناس من الاختلاف معلوم بل هو أتر عند العامة أو الخاصة كما في عدد^(٥) الصلوات ومقادير ركوعها ومواقيتها وفرائض الزكاة ونصبتها وتعيين شهر رمضان والطواف والوقوف ورمي الجمار والمواقيت وغير ذلك ، ثم اختلاف الصحابة في الجدة والأخوة وفي المشركة ونحو

(١) في الأصل : من (٢) في الأصل : النفس (٣) في الأصل نقص على ما يظهر ولعل هذه الزيادة مستحسنة (٤) في الأصل : بأن (٥) في الأصل : كإعداد

ذلك لا يوجب ريباً في جمهور مسائل الفرائض بل فيما يحتاج اليه عامة الناس وهو عمود النسب من الآباء والأبناء، والكلالة من الأخوة والأخوات ومن نسائهم كالأزواج، فان الله أنزل في الفرائض ثلاث آيات مفصلة ذكر في الأولى الأصول والفروع وذكر في الثانية الحاشية التي تترث بالفرض كالزوجين وولد الأم وفي الثالثة الحاشية الوارثة بالتعصيب وهم الأخوة لأبوين أو لأب، واجتماع الجد والأخوة نادر ولهذا لم يقع في الإسلام الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، والاختلاف قد يكون خلفاء الدليل والذهول عنه وقد يكون لعدم سماعه وقد يكون للغايب في فهم النص وقد يكون لاعتقاد معارض راجح فالمقصود هنا التعريف بجمل الأمر دون تفاصيله .

— فصل —

الاختلاف في التفسير على نوعين منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك ، اذ العلم اما نقل مصدق واما استدلال عمق والمنقول اما عن المعصوم واما عن غير المعصوم والمقصود بان جنس المنقول سواء كان عن المعصوم او غير المعصوم وهذا هو (النوع) الأول فنه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه — وهذا القسم الثاني من المنقول وهو ما لا طريق لنا الى الجزم بالصدق منه (فالبحث عنه) ^(١) مما لا فائدة فيه والكلالة فيه من فضول الكلام واما ما يحتاج المسامحون الى معرفته فان الله نصب على الحق فيه دليلاً قشال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه اختلافهم في (احوال) ^(٢) أصحاب الكهف وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم كاسم صاحب موسى انه الخضر فهذا معلوم وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب كالمنقول عن كعب

(١) الأصل : عامقه ! (٢) الأصل : الموكلون !

ووهب ومحمد بن اسحق وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه الا بحجة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما ان يحدثوك بحق فتكذبوه واما ان يحدثوك بباطل فتصدقوه ، وكذلك ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر انه أخذه عن أهل الكتاب فتنى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض وما نقل في ذلك عن (بعض) الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس اليه اسكن مما نقل عن بعض التابعين لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم أو من بعض من سمعه منه أقوى ولأن نقل التابعي (دون) ^(١) جزم الصحاح فيما يقوله فكيف ^(٢) يقال أنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم ، والمقصود أن الاختلاف الذي لا يعلم صحبته ولا يفيد حكاية الأقوال فيه (هو) كالمعرفة لما يروى من الحديث الذي لا دليل على صحته وأمثال ذلك ، وأما القسم الأول ^(٣) الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود فيما يحتاج اليه والله الحمد فكثيراً ما يوجد في التفسير والحديث والمغازي أمور منقولة عن نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه والنقل الصحيح يدفع ذلك بل هذا موجود فيما مستنده النقل وفيما قد يعرف بأمر أخرى غير النقل ، فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج اليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره ومعلوم ان المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم ولهذا قال الامام أحمد ثلاثة أمور ليس لها أسناد التفسير والملاحم والمغازي والمؤدى ليس لها أصول ^(٤) أي أسناد لأن الغالب عليها المراسيل مثل ما يذكره عروة بن الزبير والشعبي والزهري وموسى بن عقبه وابن اسحاق ومن بعدهم كيجي بن سعيد الأموي والونيد ومسلم والواقدي ونحوهم من

(١) الأصل : ومع (٢) الأصل : مما يقوله كيف (٣) الأصل : الثاني

(٤) الأصل : ويؤدي ليس لها أصل

المغازي ، فان أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة ثم أهل الشام ثم أهل العراق فأهل
المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان
لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم ، ولهذا عظم الناس كتاب أبي اسحاق
الفزاري الذي صنفه في ذلك وجعلوا الأوزاعي أعلم بهذا الباب من غيره من علماء
الأمصار ، وأما التفسير فان أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس
كجده وعطاء ابن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن
أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطلحوس وأبي
الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ومن
ذلك ما تميزوا به على غيرهم ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي
أخذ عنه مالك التفسير وأخذه عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن (و) عبد الله بن وهب ،
والمراسيل اذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصداً او الاتفاق بغير قصد
كانت صحيحة قطعاً فان النقل اما أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر وأما أن يكون
كذباً فعمد صاحبه الكذب او أخطأ فيه فمضى سلم من الكذب العمد والخطأ
كان صدقاً بلا ريب .

فاذا كان الحديث جاء من جهتين أو جهات وقد علم أن المخبرين لم يتواطأوا
على اختلاقه وعلم أن مثل ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقاً بلا قصد علم أنه صحيح ،
مثل شخص يتحدث عن واقعة جرت وبذكر تفاصيل ما فيها من الأقوال والأفعال
ويأتي شخص آخر قد علم ان لم يواطئ الأول فيذكر مثل ما ذكره الأول من
تفاصيل الأقوال والأفعال فيعلم قطعاً ان تلك الواقعة حق في الجملة فانه لو كان
كل منهما كاذباً (ب) بها عمداً أو خطأ لم يتفق في العادة أن يأتي كل منهما بتلك التفاصيل
التي تمنع العادة اتفاق الأثنين عليها بلا مواطأة من أحدهما لصاحبه فان الرجل قد
يتفق أن ينظم بيتاً وينظم الآخر مثله أو يكذب كذبةً ويكذب الآخر مثلاً ،

أما إذا أنشأ تصيدة طويلة ذات فنون على قافية وروي فلم تجز العادة بأن غيره ينشئ* مثلها لفظاً ومعنى مع الطول المفرط بل يعلم بالعادة أنه أخذها منه ، وكذلك إذا حدث حديثاً طويلاً فيه فنون وحدث آخر بمثله فانه إما أن يكون وإطاه عليه أو أخذه منه أو يكون الحديث صدقاً ، وهذه الطريق يعلم صدق عامة ما نتعدد جهاته المختلفة على هذا الوجه من المنقولات وان لم يكن أحدها كافيًا أما لارساله وإما للضعف ناقله لكن مثل هذا لا تضبط به الألفاظ والدقائق التي لا تعلم بهذه الطريق بل يحتاج ذلك الى طريق يثبت بها مثل تلك الألفاظ والدقائق ولهذا ثبتت بالتواتر غزوة بدر وانها قبل أحد بل يعلم قطعاً ان حمزة وعلياً وعبيدة برزوا الى عتبة وشيبة والوليد وأن علياً قتل الوليد وأن حمزة قتل قزفة ثم يشك في قرنه هل هو عتبة أو شيبة وهذا الأصل ينبغي أن يعرف فانه أصل نافع في الجزم بكثير من المنقولات في الحديث والتفسير والمغازي وما ينقل من أقوال الناس وأفعالهم وغير ذلك ، ولهذا اذا روي الحديث الذي يتأق في فيه ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين مع العلم بان أحدهما لم يأخذه عن الآخر جزم بأنه حق لا سيما اذا علم أن ⁽¹⁾ نقلته ليسوا ممن يعتمد الكذب وإنما يخاف على أحدهم النسيان والغلط ، فان من عرف الصحابة كابن مسعود وأبي بن كعب وابن عمر وجابر وابي سعيد وابي هريرة وغيرهم علم يقيناً أن الواحد من هؤلاء لم يكن ممن يعتمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلاً عن هو فوقهم كما يعلم الرجل من حال من جربه وخبره خبرة باطنة طويلة أنه ليس ممن يسرق أموال الناس ويقطع الطريق ويشهد بالزور ، ونحو ذلك وكذلك التابعون بالمدينة ومكة والشام والبصرة فان من عرف مثل أبي صالح السمان والأعرج وسليمان بن يسار وزهد بن أسلم وأمثالهم علم قطعاً انهم لم يكونوا ممن يعتمد الكذب في الحديث فضلاً عن هو فوقهم مثل محمد بن سيرين والقاسم بن محمد او سعيد بن المسيب او عبيدة السلماني او علقمة او الأسود او فحوم وإنما يخاف على الواحد من الغلط فان الغلط والنسيان كثيراً ما

يعرض للانسان ومن الحفاظ من قد عرف الناس بعده عن ذلك جداً كما عرفوا حال الشعبي والزهري وعروة وقتادة والثوري وامثالهم لا سيما الزهري في زمانه والثوري في زمانه فانه قد يقول القائل ان ابن شهاب الزهري لا يعرف له غلط مع كثرة حديثه وسعة حفظه .

والمقصود ان الحديث الطويل اذا روي مثلاً من وجهين مختلفين من غير مواطأة امتنع عليه أن يكون غلطاً كما امتنع ان يكون كذباً فان الغلط لا يكون في قصة طويلة متنوعة وانما يكون في بعضها فاذا روي هذا قصة طويلة متنوعة ورواها الآخر مثلاً رواها الأول من غير مواداة امتنع الغلط في جميعها كما امتنع الكذب في جميعها^(١) ولهذا انما يقع في مثل ذلك غلط في بعض ما جرى في القصة مثل حديث اشترى النبي صلى الله عليه وسلم البعير من جابر فان من تأمل طريقه علم قطعاً ان الحديث صحيح وان كانوا قد اختلفوا في مقدار الثمن وقد بين ذلك البخاري في صحيحه فان جمهور ما في البخاري ومسلم مما يقطع بان النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأن غالبه من هذا (النحو) ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق والأمة لا تجتمع على خطأ فلو كان الحديث كذباً في نفس الامر والأمة مصدقة له قابلة له لكانوا قد اجمعوا على تصديق ما هو في نفس الامر كذب وهذا اجماع على الخطأ وذلك ممنوع وان كنا نحن بدون الاجماع فنجوز الخطأ او الكذب على الخبر فهو كمنجوزنا قبل ان نعلم الاجماع على العلم الذي ثبت بظاهر او قياس ظني ان يكون الحق في الباطن بخلاف ما اعتقدناه فاذا اجمعوا على الحكم جزئنا بان الحكم ثابت باطناً^(٢) وظاهراً ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد اذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له او عملاً به أنه يوجب العلم ، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من اصحاب ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد الا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام انكروا ذلك ولكن

(١) في الأصل : في جميعها من غير مواطأة . ولعل الزيادة مكورة

(٢) في الأصل : ظناً

كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك وهو قول أكثر الأشعرية كإبي إسحق وإبن فورك وإما إبن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك وتبعه مثل إبي المعالي وإبي حامد وإبن عقيل وإبن الجوزي وإبن الخطيب والآمدي ونحو هؤلاء ، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد وإبو الطيب وإبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية ، وهو الذي ذكره القاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية ، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي وأمثاله من الحنفية ، وهو الذي ذكره أبو يعلى وإبو الخطاب وإبو الحسن بن الزاغوني وأمثاله من الحنبلية ، وإذا كان الاجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبار في ذلك باجماع أهل العلم بالحديث كما أن الاعتبار في الاجماع على الاحكام باجماع أهل العلم بالامر والنهي والاباحة ، والمقصود هنا ان تعدد الطرق مع عدم التشاعر او الاتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنقول لكن هذا ينتفع به كثيراً من علم أحوال الناقلين .

وفي مثل هذا ينتفع برواية المجهول والسيء الحفظ وبالحدث المرسل ونحو ذلك ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الاحاديث ويقولون انه يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره ، قال احمد قد اكتب حديث الرجل لاعتبره ومثل ذلك عبد الله ^(١) بن لميعة قاضي مصر فانه كان من أكثر الناس حديثاً ومن خيار الناس لكن بسبب احتراق كتبه وقع في حديثه المتأخر غلط فصار يعتبر بذلك ويستشهد به وكثيراً ما يقترن هو والليث بن سعد والليث حجة ثبت امام وكما انهم يستشهدون ويعتبرون بحديث الذي فيه سوء حفظ فانهم أيضاً يضعفون من حديث الثقة الصدوق الضابط اشياء تبين لم غلظه فيها باور يستدلون بها ويسمون هذا علم علل الحديث وهو من اشرف علومهم بحيث يكون الحديث قد رواه ثقة ضابط وغلط فيه وغلظه فيه عرف اما بسبب ظاهر كما عرفوا ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم وانه صلى في البيت ركعتين وجعلوا رواية إبن عباس لتزوجها

(١) الأصل : يعبد الله

حلالاً ولكونه لم يصل مما وقع فيه الغلط، وكذلك انه اعتمر اربع عمر ، وعلّموا ان قول ابن عمر انه اعتمر في رجب مما وقع فيه الغلط ، وعلّموا انه تمتع وهو آمن في حجة الوداع وان قول عثمان لعلي كنا يومئذ خائفين مما وقع فيه الغلط ، وان ما وقع في بعض طرق البخاري أن النار لا تمتلي حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر مما وقع فيه الغلط وهذا كثير والناس في هذا الباب طرفان طرف من أهل الكلام نجوم من هو بعيد عن معرفة الحديث وأهله لا يميز بين الصحيح والضعيف فيشك في صحة احاديث او في القطع بها مع كونها معلومة مقطوعاً بها عند أهل العلم به ، وطرف ممن يدعي اتباع الحديث والعمل به كلما وجد لفظاً في حديث قد رواه ثقة او رأى حديثاً باسناد ظاهره الصحة يريد أن يجعل ذلك من جنس ما جزم أهل العلم بصحته حتى اذا عارض الصحيح المعروف أخذ بتكلف له التأويلات الباردة او يجعله دليلاً له في مسائل العلم مع أن أهل العلم بالحديث يعرفون ان مثل هذا غلط .

وكما ان على الحديث أدلة يعلم بها انه صدق وقد يقطع بذلك ، فعليه ادلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك ، مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل مثل حديث يوم عاشوراء وأمثاله مما فيه : أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبياً ، وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدى والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة فانه موضوع باتفاق أهل العلم والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ، والواحدى صاحبه كان اصر منه بالعربية الكن هو بعد عن السلامة واتباع السلف ، والبغوي تفسره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الاحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ، والموضوعات في كتب التفسير كثيرة (ومنها) ⁽¹⁾ الاحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة وحديث علي الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة فانه موضوع باتفاق أهل العلم ، مثل ما روي في قوله **ولكل قوم هاد** * انه علي * **وتعيبها اذن واعية** * اذتك يا علي .

(1) في الأصل بياض لكلمة واحدة ولعلها منها أو مثل

- فصل -

وأما النوع الثاني من سببي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بأحسان فان التفسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين ، مثل تفسير عبد الرزاق ووكيع وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم ومثل تفسير الامام احمد واسحاق بن راهويه وبقية بن مخلد وأبي بكر بن المنذر وسفيان بن عيينة والسندي^(١) وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي سعيد الأشج وأبي عبد الله بن ماجه وابن مردويه ، (والقائلون بالجهتين المتقدم ذكرهما قسماً)^(٢) أحدهما قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل الفاظ القرآن عليها ، والثاني قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يرده بكلامه من كان من الناطقين بأهله العرب من غير نظر الى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به ، فالاولون راعوا المعنى الذي رآوه^(٣) من غير نظر الى ما تستحقه الفاظ القرآن من الدلالة والبيان والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يرده به^(٤) العربي من غير نظر الى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام . ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم ، كما أن الاولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يغلط بذلك الآخرون ، وان كان نظر الاولين الى المعنى اسبق ونظر الآخريين الى اللفظ اسبق ، والاولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه واريد به وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به وفي كلا الامرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى باطلاً فيكون خطوهم في الدليل والمدلول وقد يكون حقاً فيكون خطوهم فيه في الدليل لا في المدلول ،

(١) الاصل : وسنيد . ولعل ما أثبتناه أصح كما سيأتي (٢) في الاصل نقص

بدعي ولعل ما زدناه من الكلمات الخمس كافل بصحة العبارة (٣) الاصل رواه

(٤) الاصل : وما يجوز أن يرده به عندهم .

وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن فإنه وقع أيضاً في تفسير الحديث فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها ، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه ومن هو لا فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم وهذا كالمعتزلة مثلاً فانهم من أعظم الناس كلاماً وجدالاً وقد صنّفوا تفاسير على اصول مذهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصح شيخ ابراهيم بن اسماعيل بن علي الذي كان يناظر الشافعي ومثل كتاب أبي علي الجبائي والتفسير الكبير للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني و(كتاب) علي^(١) بن عيسى الرماني والكشاف لابن القاسم الزمخشري فهو لا ، وأمثالهم اعتقدوا مذاهب المعتزلة .

و اصول المعتزلة خمسة يسمونها بـ التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وانفاذ الوعيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوحيدهم هو توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات وغير^(٢) ذلك ، قالوا إن الله لا يرى وأن القرآن مخلوق وأنه ليس فوق العالم وأنه لا يقوم به علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا مشيئة ولا صفة من الصفات ، واما عدلهم فمن مضمونه ان الله لم يشأ جميع الكائنات ولا خلقها كلها ولا هو قادر عليها كلها بل عندهم أن افعال العباد لم يخلقها الله لا خيرها ولا شرها ولم يرد الا ما امر به شرعاً وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئته وقد وافقهم على ذلك متأخرو الشيعة كالمفيد وأبي جعفر الطوسي وأمثالهما ولا ي جعفر هذا تفسير على هذه الطريقة لكن يضم إلى ذلك قول الامامية الاثني عشرية فان المعتزلة ليس فيهم من يقول بذلك ولا من ينكر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومن اصول المعتزلة مع الخوارج انفاذ الوعيد في الآخرة وأن الله لا يقبل في أهل الكبار شفاعة ولا يخرج منهم أحداً من النار ولا ريب أنه قد

(١) الاصل : ولعلي (٢) الاصل : وعن

رد عليهم طوائف من المرجئة الكرامية والكلابية واتباعهم فأحسنوا تارة وأساءوا
 أخرى حتى صاروا في طرفي تقيض كما قد بسط في غير هذا الموضع . والمقصود أن
 مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا الفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة
 والتابعين لهم باحسان ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم ، وما من
 تفسير من تفاسيرهم الباطلة الا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين تارة
 من العلم بفساد قولهم وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن اما دليلاً على قولهم أو
 جواباً على المعارض لهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً وبدس البدع
 في كلامه واكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى أنه يروج على
 خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ، ما شاء الله .

وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم
 ما يوافق اصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدي لذلك — ثم انه لسبب تطرف
 هؤلاء وضلالهم دخلت الرفضة الامامية ثم الفلاسفة ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغ
 من ذلك ونفاق الامر في الفلاسفة (و) القرامطة (و) الرفضة فانهم فسروا القرآن
 بانواع لا يقضي العالم منها عجبته فتفسير الرفضة كقولهم ﴿تبت يدا ابي لهب﴾ هما
 أبو بكر وعمر ، و ﴿لئن اشركت ليحبطن عملك﴾ أي بين أبي بكر وعمر وعلي
 في الخلافة ، و ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ هي عائشة ، و ﴿قاتلوا ائمة
 الكفر﴾ طلحة والزبير ، و ﴿سراج البحرين﴾ علي وفاطمة ، و ﴿اللؤلؤ
 والمرجان﴾ الحسن والحسين ، و ﴿كل شيء أحصيناه في امام مبين﴾ في علي بن
 أبي طالب ، و ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ علي بن أبي طالب ، و ﴿انما
 وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
 راكعون﴾ هو علي ، وبذكرون الحديث لنوضوع باجماع أهل العلم وهو تصدقه
 بخاتمته في الصلاة ، وكذلك قوله ﴿اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾
 نزلت في علي لما اصيب بحمزة ، ومما يقارب هذا من بعض الوجوه ما يذكره كثير
 من المفسرين في مثل قوله ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين

بالاسحار * ان الصابرين رسول الله والصادقين ابو بكر والقائمين عمر والمنفقين
 عثمان والمستغفرين علي وفي مثل قوله * محمد رسول الله والذين معه * ابو بكر
 * اشداء على الكفار * عمر * رحاء بينهم * عثمان * ترام ركعاً سجداً *
 علي ، واعجب من ذلك قول بعضهم * والثين * ابو بكر * والزيتون * عمر
 * وطور سينين * عثمان * وهذا البلد الامين * علي وامثال هذه الخرافات التي
 تتضمن تارة تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال فان هذه الالفاظ لا تدل على هؤلاء
 الاشخاص وقوله تعالى (١) * والذين معه اشداء على الكفار رحاء بينهم ترام ركعاً
 سجداً * كل ذلك نعت للذين معه وهي التي يسميها النحلة خيراً بعد خير ،
 والمقصود هنا أنها كلها صفات لموصوف واحد وهم الذين معه ولا يجوز أن يكون
 كل منها مراداً به شخص واحد وتضمن تارة جعل اللفظ المطلق العام منحصرأ
 في شخص واحد كقوله: ان قوله * انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا * اريد
 بها علي وحده وقول بعضهم : ان قوله * والذي جاء بالصدق وصدق به * اريد
 بها أبو بكر وحده وقوله * لا يستوي منكم من اتقى من قبل الفتح وقاتل *
 اريد بها ابو بكر وحده ونحو ذلك ، وتفسير ابن عطية وامثاله اتباع السنة والجماعة
 واسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير
 المأثورة عنهم على وجهه لكان احسن واجمل فانه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن
 جرير الطبري وهو من أجل التفاسير واعظمها قدراً ثم انه يدع ما نقله ابن جرير
 عن السلف لا يحكيه بحال وبذكر ما يزعم انه قول المحققين وانما يعني بهم طائفة
 من أهل الكلام الذين قرروا اصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة اصولهم
 وان كانوا اقرب الى السنة من المعتزلة لكن ينبغي ان يعطى كل ذي حق حقه
 ويعرف ان هذا من جملة التفسير على المذهب ، فان الصحابة والتابعين والائمة اذا
 كت لم في تفسير الآيات قول وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لاجل مذهب

(١) الاصل : وقوله بما لا يدل عليه بحال قوله تعالى . ولعل الزيادة مكررة

اعتقدوه وذلك انذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين له باحسان صاروا
مشاركين^(١) للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا .
وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم انى ما يخالف ذلك
كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً وان كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه ، فالمقصود بيان
طرق العلم وادلتها وطرق الصواب ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون
وتابعوهم وانهم كانوا اعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله
صلى الله عليه وسلم فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في
الدليل والمدلول جميعاً ومعلوم أن كل من خالف قولهم له شبهة يذكرها اما عقلية
واما سمعية كما هو مبسوط في موضعه ، والمقصود هنا التنبيه على مثار الاختلاف في
التفسير وان من أعظم اسبابه البدع الباطلة التي دعت أهلها الى أن حرفوا الكلم
عن مواضعه وفسروا كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بغير ما اراد به وتأولوه
على غير تأويله ، فمن اصول العلم بذلك ان يعلم الانسان القول الذي خالفوه وانه
الحق وأن يعرف أن تفسير السلف يخالف تفسيرهم وأن يعرف ان تفسيرهم محدث
مبتدع ثم ان يعرف بالنظر في المفصلة فساد تفسيرهم بما نصبه الله من الادلة على بيان
الحق وكذلك وقع من الذين صنفوا في شرح الحديث وتفسيره من المتأخرين من
جنس ما وقع فيما صنفوه من شرح القرآن وتفسيره - واما الذين يخطئون في
الدليل لا في المدلول فمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم يفسرون
القرآن بمعان صحيحة لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره ابو عبد الرحمن
السلمي في حقائق التفسير وان كان فيما ذكره ما هو معان باطلة فان ذلك يدخل
في القسم الاول وهو الخطأ في الدليل والمدلول جميعاً حيث يكون المعنى الذي
قصدوه (فاسداً) .

فصل

فان قال قائل فما احسن طرق التفسير فالجواب ان اصح الطرق في ذلك أن

(١) الاصل : صار مشاركا

يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما
 اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر - فإن اعياك ذلك فعليك بالسنة
 فإنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الامام ابو عبد الله محمد بن ادریس
 الشافعي كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بما^(١) فيه من القرآن
 قال الله تعالى ﴿ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله
 ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ وقال تعالى ﴿ واتزانا اليك الذكر لتبين للناس ما
 نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين
 لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ولهذا قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : الا اني اوتيت القرآن ومثله معه . يعني السنة ، والسنة ايضاً تنزل
 عليه بالوحي كما ينزل القرآن لأنها تنلى كما يتلى ، وقد استدل الامام الشافعي وغيره
 من الائمة على ذلك بادلته كثيرة ليس هذا موضع ذلك ، والغرض انك تطلب
 تفسير القرآن منه فان لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
 حين بعثه الى اليمن بم تحكم (قال) بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول
 الله قال فان لم تجد قال اجتهد رأيي قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 صدره وقال الحمد لله الذي وفق (رسول) رسول الله لما يرضي رسول الله وهذا
 الحديث في المساند والسنن باسناد جيد .

وحينئذ اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى اقوال
 الصحابة فانهم ادرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والاحوال التي اقتصوا بها
 والملمة من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماءهم وكبرائهم كالائمة الاربعة الخلفاء
 الراشدين والائمة المهديين مثل^(٢) عبد الله بن مسعود قال الامام ابو جعفر محمد بن
 جرير الطبري حدثنا ابو كريب قال أنبأنا جابر بن نوح أنبأنا الأعمش عن أبي
 الضحى عن مسروق قال قال عبد الله يعني ابن مسعود والذي لا اله غيره ما نزلت
 آية من كتاب الله الا وأنا اعلم فيمن نزلت واين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم

(١) الاصل : بما (٢) الاصل : المهديين وعند الله .

بكتاب الله مني تناولته المطايا لايته ، وقال الأعمش أيضاً عن أبي وائل عن ابن مسعود قال كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ، ومنهم الخبر البحر عبدالله بن عباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر أنبأنا وكيع أنبأنا سفيان عن الأعمش عن مسلم (عن مسروق قال) قال عبد الله يعني ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، ثم رواه عن يحيى بن داود عن اسحاق الأزرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود انه قال نعم الترجمان للقرآن ابن عباس ، ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك ، فهذا اسناد صحيح الى ابن مسعود انه قال عن ابن عباس هذه العبارة ، وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح وعمر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود ، وقال الأعمش عن أبي وائل استخف علي عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيراً لم سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا .

وهذا غالب ما يرويه اسماعيل بن عبد الرحمن السندي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقوال أهل الكتاب التي اباها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . رواه البخاري عن عبد الله بن عمر ولهذا كان عبدالله بن عمر قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منها بما فهمه من هذا الحديث من الاذن في ذلك ولكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، فانها على ثلاثة أقسام أحدها ما علمنا صحته مما يابديننا مما نشهد له بالصدق فذاك صحيح ، والثاني ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه

والثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نوع من به ولا
نكذبه وتجاوز حكايته ما تقدم ونائب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني ولهذا
تختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، وبأني عن المفسرين خلاف بسبب
ذلك كما يذكر في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون^(١) كليبهم وعدتهم
وعصا موسى من أي الشجر كانت واسماء الطيور التي أحياءها الله لإبراهيم وتعيين
البعض الذي ضرب به المنتون^(٢) من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى
الى غير ذلك مما أهبه^(٣) الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين
في دنياهم ولا دينهم ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى ﴿ سيقولون
ثلاثة رابعهم كليبهم ويقولون خمسة سادسهم كليبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة
ونامنهم كليبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الامراء ظاهراً
ولا تستفت فيهم منهم احداً ﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الادب في
هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا فانه تعالى اخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف
القولين الاولين وسكت عن الثالث فدل على صدقته اذ لو كان باطلاً لرده كما
ردهما ثم ارشد الى ان الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا ﴿ قل
ربي أعلم بعدتهم ﴾ فانه ما يعلم بذلك الا قليل من الناس من اطاعه الله عليه فاهذا
قال ﴿ فلا تمار فيهم الامراء ظاهراً ﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا
تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا وجه الغيب فهذا أحسن ما يكون
في حكاية الخلاف أن تستوعب الاقوال في ذلك المقام وان ينبه على الصحيح منها
ويبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا (يطول) النزاع والخلاف فيما
لا فائدة تحته فيشتغل به عن الهم ، فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال
الناس فيها فهو ناقص اذ قد يكون الصواب في الذي تركه أو يركب الخلاف ويطلقه
ولا ينبه على الصحيح من الاقوال فهو ناقص أيضاً فان صحح غير الصحيح عامداً

(١) الاصل : وكون . (٢) الاصل : القتل . (٣) الاصل : المسمه - ولعل

فقد تعدد الكذب أو جاهلاً فقد اخطأ ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة
تحتة أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع
الزمان واكثر مما^(١) ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور والله الموفق بالصواب .

فصل -

إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع
كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كجاهد بن جبر فإنه كان آية في
التفسير كما قال محمد بن اسحاق حدثنا ابان بن صالح عن مجاهد قال عرضت
المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية
منه وأسأله عنها ، وبه إلى الترمذي قال حدثنا الحسين بن مهدي البصري حدثنا
عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (قال) ما في القرآن آية الا وقد سمعت فيها شيئاً ،
وبه إليه قال حدثنا ابن ابي عمير حدثنا سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال مجاهد
لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من
القرآن مما سألت نحو قال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال^(٢) حدثنا طلق بن غنم
عن عثمان المكي عن ابن ابي مليكة قال رأيت مجاهداً سأل (ابن عباس) عن
تفسير القرآن ومعه الواحد فقال ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله ،
ولهذا كان سفيان الثوري يقول اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به - وكسعيد
بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء ابن ابي رباح والحسن البصري وسروق
بن الاجدع وسعيد بن المسيب وابي العالية والربيع وابن انس وقتادة والضحاك بن
مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر اقوالهم في الآيات فيقع في
عباراتهم تباين في الالفاظ بحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس
كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره ومنهم من ينص على الشيء
بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الاماكن فليتنظن اللبيب لذلك والله الهادي *
وقال شعبة بن الحجاج وغيره أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون

(١) الاصل : وتكثر بما (٢) الاصل : قد .

حجة في التفسير يعني انها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح اما اذا
اجمعوا على الشيء فلا^(١) يرتاب في كونه حجة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم
حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك الى لغة القرآن أو السنة أو عموم
لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك .

فاما تفسير القرآن بتجرد الرأي فحرام ، حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا
عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ، حدثنا وكيع حدثنا سفيان
عن عبد الاعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ، وبه الى الترمذي
قال حدثنا عبد بن حميد حدثني حسان بن هلال قال حدثنا سهيل اخو حزم القطمي
قال حدثنا أبو عمران الجوني عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . قال الترمذي هذا حديث غريب وقد
تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن ابى حزم ، وهكذا روى بعض أهل العلم
عن^(٢) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم انهم شددوا في أن يفسر القرآن
بغير علم ، واما الذي روى عن مجاهد وجماعة وغيرهما من أهل العلم انهم فسروا القرآن
فليس الظن بينهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم ، وقد
رُوي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم فن قال سيف
القرآن برأيه فقد تكلف . الا علم له به وسلك غير ما أمر به فلو انه أصاب المعنى في
نفس الامر لكان قد أخطأ لانه لم يأت الامر من بابه كمن حكم بين الناس على
جهل فهو في النار وان وافق حكمة الصواب في نفس الامر ، لكن يكون أخف
جرماً ممن أخطأ والله أعلم ، وهكذا سمى الله تعالى القذفة كاذبين فقال ﴿ فاذا لم
يأتوا بالشهاداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف
من زنى في نفس الامر لأنه اخبر بما لا يعلم له الاخبار به وتكلف ما لا يعلم له به والله أعلم

ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير مالا أعلمه به كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن ابني معد قال قال أبو بكر الصديق : أي أرض تقفني وأي سماء تظاني اذا قلت في كتاب الله مالم أعلم ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمود بن يزيد عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي ان أبا بكر الصديق سئل عن قوله ﴿ وفاكهةً وأبا ﴾ فقال أي سماء تظاني وأي أرض تقفني ان أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم ،^(١) وقال أبو عبيد أيضاً حدثنا يزيد عن حميد عن انس ان عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿ وفاكهةً وأبا ﴾ فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الاب ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا هو التكف يا عمر ، وقال عبد بن حميد حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن انس قال كنا عند عمر بن الخطاب وفي ظهر قميصه اربع رقاع فقراً ﴿ وفاكهةً وأبا ﴾ فقال ما الاب ثم قال ان هذا هو التكف فما عليك ان لا تدريه ، وهذا كله محمول على انها رضي الله عنهما انما أرادا استكشاف علم كينية الاب والافكونه نباتاً من الارض ظاهر لا يهيل لقوله تعالى ﴿ فانبثنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلًا وحدائقاً غلباً ﴾ وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن عاينة عن أيوب عن ابن عباس (انه) سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فاني أن يقول فيها ، اسناده صحيح ، وقال أبو عبيد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن ابي مايكة قال سأل رجل ابن عباس عن ﴿ يوم كان مقداره الف سنة ﴾ فقال له ابن عباس فما ﴿ يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾ فقال الرجل انما سألتك لتحدثني فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما ، فكره ان يقول في كتاب الله مالا يعلم ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم^(٢) حدثنا ابن عاينة عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال جاء ظلق بن حبيب الى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال اخرج^(٣) عليك ان كنت

(١) الاصل : مالا أعلم (منقطع) ولعلها زائدة أو ان المراد اسناده منقطع .

(٢) الاصل : يعقوب يعني ابراهيم وهو خطأ . (٣) الاصل : لفرج !

مسلماً لما قلت عني أو قال ان تجالسني ، وقال مالك عن يحيى بن سعيد بن المسيب انه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال انا لا نقول في القرآن شيئاً ، وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه كان لا يتكلم الا في المعلوم من القرآن ، وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال سألت رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا تسألني عن القرآن وسل من يزعم انه لا يخفى عليه منه شيء يعني عكرمة ، وقال ابن شوذب حدثني يزيد ابن ابي يزيد قال كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان اعلم الناس فاذا سألتناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع ، وقال ابن جرير حدثني احمد بن عبده العنبي حدثنا عبيد الله بن عمر قال لقد ادركت فقهاء المدينة وانهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم سالم بن عبدالله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع الدبلي (١) ، وقال ابو عبيد حدثنا عبدالله بن صالح عن الليث عن هشام بن عروة قال ما سمعت ابي تأول آية من كتاب الله قط ، وقال اهبوب وابن عون وهشام الدستوائي عن محمد بن سيرين (قال) سألت عبيدة السلماني عن آية من القرآن فقال ذهب الدين كانوا يعلمون فيما انزل من القرآن فاتق الله وعليك بالسداد ، وقال ابو عبيد حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبيد الله بن مسلم بن يسار عن ابيه قال اذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده ، حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال كان اصحابنا يتقون التفسير ويهابونه ، وقال شعبة عن عبدالله بن ابي السفر قال قال الشعبي والله ما من آية الا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله ، وقال ابو عبيد حدثنا هشيم ابناً عمر بن ابي زائدة عن الشعبي عن مسروق قال اتقوا التفسير فانما هو الرواية عن الله .

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن ائمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ، فاما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم اقوال في التفسير ولا منافاة لانهم

تكلّموا فيما علموه وسكّنوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فانه كما
يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله
تعالى ﴿ ليبيننه للناس ولا يحسنونه ﴾ والما جاء في الحديث المروي من طرق :
من سئل عن علم فكتمه الجحيم يوم القيامة بلجام من نار ، وقال ابن جرير حدثنا
محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابى الزبير قال قال ابن عباس التفسير
على أربعة اوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالة وتفسير
يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تم طبع هذه الرسالة الجليلة في مطبعة الترقى بدمشق)
(بعناية وتصحيح الفقير محمد جميل الشطي الحنبلي)
(في اوائل ربيع الانور سنة ١٣٥٥)
(والحمد لله على فضله ونعمته)

— فهرس —

- ٥ (فصل) في ان النبي ص بين معاني القرآن كما بين الفاظه .
- ٦ (فصل) في أن اختلاف السلف في التفسير صنفان أحدهما ان يعبر كل منهم بعبارة غير عبارة صاحبه .
- ٨ إلصاف الثاني ان يذكر كل منهم من الإسم العام ببعض انواعه على سبيل التوشيل .
- ١١ مما يجعله بعض الناس اختلافاً ان يعبروا عن المعاني بالفاظ متقاربة لا مترادفة .
- ١٣ (فصل) في ان الاختلاف في التفسير على نوعين الاول ما مستنده النقل فقط .
- ١٥ اذا كان الحديث جاء من جهتين و جهات الخ . علم انه صحيح .
- ١٨ الانتفاع برواية المجهول والسيء الحفظ والحديث المرسل وبيان علل الحديث
- ١٩ علامة صدق الحديث وكذبه .
- ٢٠ النوع الثاني من سببي الاختلاف ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل .
- ٢١ ممن اخطأوا في الدليل والمدلول طوائف اعتقدوا مذهباً وصنفوا تفاسيرهم على اصوله كالكشفاء للزمخشري .
- ٢٢ الكلام على تفسير الرافضة ونحوه - وامثلة منه .
- ٢٤ (فصل) في ان احسن طرق التفسير تفسير القرآن بانقرآن ثم بالسنة ثم باقوال الصحابة
- ٢٨ (فصل) اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدناه عن الصحابة رجعنا الى اقوال التابعين .
- ٢٩ انزجر عن تفسير القرآن بمجرد الرأي وما ورد عن السلف في ذلك .



— تذييله —

✽ أئمة التفسير الذين نوه المؤلف بهم ✽

من الصحابة : ابن مسعود وابن عباس ، ومن التابعين : مجاهد ، سعيد بن جبير ،
عكرمة ، عطاء ، الحسن البصري ، مسروق ، سعيد بن المنسب ، أبو العالية ،
الربيع ، ابن انس ، قتادة ، الضحاك .

-- التفسير التي مدحها المؤلف --

تفسير ابن جوير الطبري ، ابن عطية ، البغوي ، عبد الرزاق ، وكيع ، عبد بن
حميد ، عبد الرحمن بن ابراهيم دحيم ، الامام احمد ، اسحاق بن راهويه ، بقي
بن مخلد ، ابي بكر بن المنذر ، سفيان بن عيينه ، السندي ، ابن ابي حاتم ،
ابن سعيد الاشج ، ابي عبدالله ابن ماجه ، ابن مردويه .

— التفسير التي ذمها المؤلف —

تفسير الثعلبي ، الواحدي ، الرمخشري ، الكلابة ، الكرامية ، المفلاسفة
القرامطة ، الرافضة .